

التباين المعرفي في ترجمتي رواية "Nedjma" لكاتب ياسين إلى العربية: بين التفحص الأولي لملكة أبيض
والمؤانسة الثقافية للسعيد بوطاجين.

The Cognitive Contrast in Two Arabic Translations of Kateb Yacine's Novel "Nedjma": The Initial Prospecting of Malakeh Abyad versus the Cultural Complicity of Saïd Boutadjine

علي بوبيدي¹

معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2، ali.boubidi@univ-alger2.dz

تاريخ النشر 2026/05/24

تاريخ القبول: 2026/04/02

تاريخ الاستلام: 2025/11/25

ملخص:

لقيت رواية *Nedjma* اهتماما كبيرا من قبل الدارسين وحظيت بتعليقات متعددة أبرزها مقولة طاهر جاووت أنها بدون
منازع ركيزة الأدب الجزائري-المغاربي المكتوب بالفرنسية. تحدت الرواية معايير الكتابة الكلاسيكية فهي رواية حديثة بكل ما تحمله
الكلمة من معنى، ونستطيع القول أنها استعارة مُفتحة على عدة قراءات، تستدعي من القارئ تركيزا كبيرا لفك شفرتها وفهم فحواها.
ولو تطرقنا للترجمة لتبين لنا أنها ليست عملية اتخاذ قرارات مُتتابعة فقط، بل أنها تستوجب الإلمام بمعارف جمّة لسانية وغير لسانية
وشبه لسانية يمكن أن نسميها الوسط المعرفي أو الإدراكي للمترجم. وهي الكفيلة بتمكينه من حلّ المشاكل والصعوبات الترجمة التي
يواجهها، وتوعز إليه اختيار الاستراتيجيات الترجمة المناسبة.

لكل مترجم كم معرفي مختلف عن الذي يملكه الآخر فملكة أبيض تنتمي إلى بيئة مشرقية وترجمت *Nedjma* خلال
سبعينيات القرن الماضي، أما السعيد بوطاجين فهو جزائري وترجم الرواية سنة 2013. من هذا المنطلق، ارتأينا أن يكون بحثنا وفق
مقاربة تحليلية معرفية، نعوص من خلالها في دواليب النظريات الحديثة لعلم الترجمة والدراسات المعرفية اعتقادا منا أن تباين الترجمتين
والمقارنة بينهما من هذا الباب سيؤدي إلى الفائدة العلمية المرجوة ألا وهي: التحقق من أن المترجم وخاصة مترجم الأدب هو بمثابة
"كيان معرفي" "Une entité cognitive".

كلمات مفتاحية: القراءة، ترجمة الأدب، علم الترجمة، العلوم المعرفية، المحيط المعرفي، التصور، التمثيل الذهني، التأويل، السياق،
الكفاءة، المعنى.

Abstract :

Kateb Yacine's novel *Nedjma* has attracted significant scholarly attention and garnered numerous critiques, most notably Tahar Djaout's assertion that it is "undoubtedly a cornerstone

¹ المؤلف المرسل: علي بوبيدي

of Algerian-Maghrebi literature written in French." The novel challenges classical writing norms, representing a profoundly modern work in the truest sense of the word. It can be described as an open-ended metaphor inviting multiple interpretations, demanding considerable concentration from the reader to decode its layers and grasp its essence. When examining translation, it becomes evident that the process entails more than just sequential decision-making; it requires mastery of extensive linguistic, extralinguistic, and paralinguistic knowledge — what may be termed the translator's cognitive environment. This cognitive framework enables translators to overcome translation challenges and guides their selection of appropriate translation strategies.

Each translator possesses a unique cognitive repertoire. Malakeh Abyad, who translated *Nedjima* in the 1960s, hailed from an Eastern Arab cultural milieu, whereas Saïd Boutadjine, who translated the novel in 2013, is Algerian. Based on this distinction, this study adopts a cognitive analytical approach, delving into contemporary theories of translation studies and cognitive science. We contend that comparing these two translations from this perspective will yield valuable scholarly insights, particularly in verifying that the translator—especially the literary translator—functions as a "cognitive entity."

Key words: Reading, literary translation, translation studies, cognitive sciences, cognitive environment, conceptualization, mental representation, interpretation, context, competence, meaning.

مُقَدِّمَة:

لا يمكن للترجمة أن تكون موفقة إذا لم تسمح للمتلقّي من إدراك مقصد النصّ الأصلي أو بالأحرى فهمه كلياً. وعلى غرار الإحاطة الشاملة بخصائص اللّغتين المترجم منها والمترجم إليها، لا بدّ أيضاً من الإلمام بمعارف أخرى من بينها السياق والخلفية الثقافية للكاتب. في هذا الصدد، يرى ماتيو غيدار Mathieu Guidère أنّه: "من أجل إدراك المعنى، لا بدّ للمترجم من امتلاك كمّ معرفي يجمع بين: معرفة كونيّة والإحاطة بالسياق وفهم مقصود الكاتب. (ترجمتنا)" (Guidère, 2008, 71) أمّا دانييل جيل Daniel Gile فيقول أنّ: "معرفة علامات اللّغة تُعدّ ضروريّة لفهم نصّ ما، لكنّها ليست كافية إذ أنّه من المستحيل تأويلها إن كنّا نجهل الواقع غير الّلغوي الذي يُحدّدها. (ترجمتنا)" (Gile, 2005, 108) تجد هاتين المقولتين صداها أثناء ترجمة الأعمال الأدبيّة، خاصّة تلك التي تمتاز بجماليّات لا مُتناهية.

رغم ذلك، فإنّ الفروقات التي يترصدها النقاد أو حتّى القراء عند تلقّي ترجمات مختلفة لنفس العمل الأدبي، لا تنفي منها صحّة التّرجمات ولا أنّ هذه أو تلك بالضرورة غير مقبولة، أيّ أنّ كلّ مُتلقّ يحكم على النصّ من منظور خاصّ. فكيف لنا أن ننفي أنّ الأمر مماثل بالنسبة للمترجم الذي ينقل النصّ من لغة إلى لغة وفق منظوره الخاصّ؟

لو سلّطنا الضّوء على رواية *Nedjima* التي نشرت سنة 1956، لتجلّت لنا من الوهلة الأولى صعوبة فهم فحواها للقارئ المبتدئ والمخضرم على السّواء. كيف لا وقد تحدّى صاحبها معايير الكتابة المتعارف عليها وأنّه استعمل لغة فرنسيّة بالرّغم من صفائها، تجلّى فيها عنصر الإبهام من خلال الملامح الاستعاريّة والشّعريّة والإفاضة في المتن.

يقول شارل بون Charles Bonn : "...يستوجب على القارئ إذن، العثور على مغزى [وجود] الكم الهائل من
القصص [المتداخلة] التي تقتصر عليها الرواية ومنه، فإن دعوة القارئ للقيام بهذا يفترض احتمال تعدد المعاني. (ترجمتنا)" (Bonn, 1990, 37)

يكنن التحدي إذن في محاولة فك شفرة هذه الرواية التي أسالت حبر الكثيرين والوصول إلى المعنى الأكثر راجحية. لا
يتأتى ذلك إلا من خلال قراءتها بتركيز في لغتها الأصل، وتحليلها شكلا ومضمونا أولا، ثم دراسة ترجمتها وفقا لمقاربة معرفية، نرى
أنها ستساعد في فهم وإيضاح العديد من العمليات التي تحدث في ذهن القارئ والمترجم كالتلقي والتصور والتأويل والتمثل الذهني، هذا
من جهة. ومن جهة أخرى، أن توظيف المقاربة المعرفية في دراسة الفعل الترجمي بإمكانه تفسير أو بالأحرى تبرير خيارات المترجمين
على حساب أخرى.

نرى في النهاية، هل يُعدّ مترجم الأدب كيانا معرفيا يُخضع المتلقي لخياراته الترجمية أم أنّ هذا الأخير، مُتممنا ومُتحققا، لا
ينحاز مطلقا لترجمة ملكة أبيض ولا لتلك التي قام بها السعيد بوطاجين ؟

1. لمحة عن الدراسات المعرفية وارتباطها بعلم وصناعة الترجمة :

من المعارف عليه أنّ علم الترجمة يسمح بتسليط الضوء على مجموع العمليات التي تتوالى أثناء الفعل الترجمي ويُفسرها،
وأنة يُؤسّس لمبادئ نظرية. ويجدر بنا، رغم استقلالية هذا العلم، ألا نغض الطرف عن التخصصات الأخرى المرتبطة به ومن أهمها
العلوم المعرفية. تُدعم كريستين دوريو Christine Durieux هذه الرؤية بما يلي: "...[علم الترجمة] يُثري التخصصات ذات
الصلة ويعتمد عليها بدوره، وتجد دراسات الترجمة لنفسها مكانا على حواف مختلف التخصصات التي تستعير أقساما كاملة منها
وتحشد منها النظريات. هذا هو الحال على وجه الخصوص بالنسبة (...) لعلم النفس المعرفي و (...) الذكاء الاصطناعي، والعلوم
العصبية، وكلّ التخصصات التي تدخل في حيّز العلوم المعرفية. (ترجمتنا)" (Durieux, 2005, 6-7).

تُعرّف العلوم المعرفية أو العرفية أو الإستعرافية أو الإدراكية Les sciences cognitives على أنّها الدراسة العلمية
للعقل أو الذكاء حيث تُحاول الإجابة عن هذه الأسئلة: ما هو الذكاء L'intelligence ؟ كيف يشتغل ؟ وماذا يفعل ؟ وقد
نشأ هذا المجال في منتصف خمسينات القرن الماضي واكتسب مظهرا تنظيميا ومؤسّساتيا خلال السبعينات (الزناد، 2009، 16).
الحديث عن الذكاء والعرفنة La cognition يجزّنا حتما للتطرق إلى المكونات والآليات التي يمتلكها العقل البشري
وكيفية توظيفها براغماتيا قبل وأثناء الترجمة. الذاكرة La mémoire والمنطق La logique والعاطفة L'émotion والتقييم
L'appréciation من ضمن هذه الآليات وهي في الحقيقة مُرتبطة بعلم النفس المعرفي.

كانت قضية المعنى ولا زالت شائكة في حقل الدراسات الترجمية. لذا نرى أنّ النظرية التأويلية La théorie
interprétative لماريان ليديرير Marianne Lederer ودانिका سيليسكوفيتش Danica Seleskovitch جدية
بالاهتمام لأنّها تتبنّى تصوّرا لـ"المعنى" هو بمثابة المفتاح في العملية الترجمية. بالرغم من أهمية هذه النظرية، إلا أنّ مرحلة تجريد المعنى من

الكلمة أو تحصيل معنى وحدات الترجمة بقيت مبهمة. لقيت النظرية انتقادات من طرف المعرفيين أدّى إلى ظهور نظريات تأويلية
تقدمية سعت لإزالة هذا الإبهام وإيضاح هذه المرحلة. (Durieux, 2007, 49.)

ومن أهم المقاربات: المقاربة الاستدلالية L'approche inférentielle التي تُعَوّل أثناء الترجمة على توظيف
المعلومات اللسانية وغير اللسانية وشبه اللسانية والعوامل الظرفية الموضوعاتية بإعادة استرجاعها من الذاكرة. إنّها نظرية الصلة أو
المناسبة La theorie de la pertinence لدان سبيربر Dan Sperber وديري وويلسون Deirdre Wilson.
تعدّ هذه الأخيرة نظرية براغماتية معرفية جديدة بالاهتمام هي أيضا. في نظرية الصلة أو المناسبة، ينتقي المترجم معنّيا المعنى المناسب
والراجح (المنطقي) بعد معالجة المعلومة بتقديم أقلّ تكلفة معرفية أثناء التواصل. ويدعم سبيربر وويلسون آرائهما بما يلي: "عندما
تواصل، يكون المقصد تغيير الوسط المعرفي للمتخاطبين. (ترجمتنا) (Sperber et Wilson, 1986, 79)

التنظيرتان السابقتان راسختان في علم النفس المعرفي لكن الأخيرة تعرّضت للانتقاد من قبل جان فرانسوا كامو Jean-
François Camus وفيليب جونسون لايرد Philip Johnson-Laird. يتدخل كلّ من الوجدان والأثرة والعقائد ومجموع
القيم في أداء المترجم ويؤدّي كلّ منها دورا هاما في توجيه المترجم نحو تأويل معنى النصّ وفهمه وإرشده الانتباه الذي يُعدّ آلية معرفية
مُعقّدة في مسعاه الترجمي. يُؤدّي الانتباه إلى الاختيار ومنه إلى اتّخاذ القرار. كما أنّ المنطق لوحده (نظرية الصلة أو المناسبة) لا يمثّل
حلا وحيدا لمشاكل الترجمة من ضمن حلول أخرى مُمكنة ولا مُتناهية. المترجم، بحسب نظريات التماذج العقلية La théorie
des modèles mentaux التي أسّس لها فيليب جونسون لايرد، ليس منطيقا بحتا وقراراته الترجمية ليست حتماً عقلانية.
(Durieux, 2007, 52.)

هذه الرؤية لا تقلّ أهمية عن نظرية التقييم المعرفي La théorie d'appréciation لـ ماغدا أرنولد Magda
Arnold وريشارد لازاروس Richard Lazarus التي تُركّز على العاطفة. عاطفة المترجم وسيلة يتبنّا بها الدماغ ويستبق بوسعها
نواياه. (Durieux, 2007, 52.)

هذه إذن، أبرز النظريات والمقاربات التي سنغوص في دوايلها عند دراسة Nedjima وترجمتها علما أنّ الرواية تعجّ
بالمعاني الظاهرة والمضمرة وتحمل بين طيّاتها أبعادا ودلالات سياسية وإيديولوجية وثقافية واجتماعية وغيرها. فكيف تعامل المترجمين
معها ؟

ينبغي استحضار كلّ المعارف غير اللسانية من الذاكرة واستغلالها لتبيان هذه المعاني. المعارف غير اللسانية لا علاقة لها
بالنصّ مباشرة، بل تكون مُتباينة وذاتية لدى كلّ مترجم.

وكما أنّ للكاتب مقصدا من اختيار صيغ ما مكان أخرى، فالمترجم يقوم بذلك أيضا إلّا أنّ لهذا الأخير تحدّي إيصال
مقصد الكاتب بأمانة في اللغة الهدف وليس مدلولات الألفاظ فحسب. طبعاً هنالك عمليات ذهنية سيكولوجية تحدث في ذهن
المترجم تستدعي الوقوف عندها وتُبين عن أهمية استغلال النتائج التي توصّلت إليها الدراسات المعرفية.

2. تحدّي الشكل وتحدي المضمون في رواية Nedjima : إلهام في قالب إبهام :

سعى الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى ضرب وحدة الجزائريين وأراد تدمير هويّتهم مُعتمدا خططا مُمنهجة كان من بينها إرغامهم على تعلّم اللّغة الفرنسيّة. رغم ذلك، قبل بعض الجزائريين هذه اللّغة طواعيّة وهم في الأغلبيّة ممّن ينتمون للأوساط السياسيّة والثقافيّة. "اتّخذوا من الفرنسيّة وسيلة سياسيّة وثقافيّة وبراغماتيّة لحماية مصالحهم." (عزّ الدين المناصرة، 2014، 353). يُضاف إلى هؤلاء فئة الكُتّاب حيث كانت الفرنسيّة ملاذهم الوحيد لإيصال صوت الجزائريين وطموحاتهم واهتماماتهم. يُعدّ كاتب ياسين المولود بالسمندو سنة 1929 من أبرز الكُتّاب الجزائريين الذين تشرّبوا باللّغة والثقافة الفرنسيّة واستعملوها كأداة للتّعبير سرعان ما أصبحت سلاحا مُوجّها ضدّ الاحتلال. وكما نعلم فإنّ كاتب ياسين شخص عُرف بتمرّده الفكري وتحديّه لكلّ أشكال التّمطيّة السائدة وقد تجلّى هذا التّحدّي في روايته *Nedjma* المنشورة سنة 1956، أي بعد سنتين من اندلاع الثّورة الجزائريّة.

الرواية مُكوّنة من ستّة أجزاء. يحتوي كلّ من الأوّل والثّاني والخامس على 12 فصلا، وكلّ من الثّالث والرّابع والسادس على 24 فصلا أعاد الكاتب ترقيمها من جديد بعد الفصل الثّاني عشر. إنّه تقسيم غير معهود. ضف إلى ذلك تداخل مُستويات اللّغة الفرنسيّة وتغيّر الأسلوب اللّغوي داخل الرواية فتزّجّ الكاتب يترّجّ أحيانا بين الإفاضة والتّوسّع في المتن، وبين الإيجاز واقتضاب الجمل أحيانا أخرى وكأنّه يحاول من خلال هذا التّباين إظهار الحالات التّفسيّة المختلفة للشّخصيّات.

يقول شارل بون : "إنّ "نجمة" هي تلك الرواية التي تُفصح عن مكنوناتها بُنيّتها أكثر من الكلمات التي تحويها (ترجمتنا)". (Bonn, 1990, 10.) ومّا يستوقف المتصّفح لهذه الرواية الواقعيّة هو اعتمادها على الزّمن الدّائري. وكما نعلم فالزّمن عنصر مُهمّ من عناصر بناء الرواية. فالذي يزيد "نجمة" تعقيدا هو عدم احترام الأنساق الزّمنيّة فيها والتّشويش الذي ينجّر عنه ذلك. إنّ رفض كاتب ياسين الامتثال للضّوابط المتعارف عليها في الرواية يعود لتأثّره بالكُتّاب الأمريكيّين مثل ويليام فولكنر William Faulkner. يقول أبو القاسم سعد الله: "إنّ كُتّاب شمال إفريقيا يتّخذون بصفة عامّة، التّفنّيّة الحديثة لكتابة القصّة. وهذه التّفنّيّة هي التي عُرف بها كُتّاب "الجيل الضّائع" مثل طريقة عكس الوقت عند فولكنر (...). وإذا اتّخذنا الكُتّاب الأمريكيّين مقياسا، فإنّنا نجد أنّ كُتّاب إفريقيا الشّماليّة قد تمّتّعوا بحريّة أكثر من زملائهم الفرنسيّين في اختيار أنواع الأدب وموضوعاته وأسلوبه وتقنيّته (...). ذات الإمكانيّات الواسعة للتّجربة." (سعد الله، 2007، 104).

باتت هذه الحرّيّة في اتّخاذ أنساق جديدة للكتابة الروائيّة وعاءا للعديد من الافتراضات التي تُضفي إبهاما جمّا عند قراءة الرواية (وعند ترجمتها كما سننظر لاحقا). يقول السّعيد بوطاجين: "... نجمة (...). منحوتة بشكل غاية في التّعقيد، ما يُنتج، في سياقات كثيرة، حالات من العُموض والإبهام وجب التّحكّم فيه تفاديا لترجمة مُلتبسة تُضاف إلى لبس قاعدي مرّدّه الشّكل السّردي في حدّ ذاته." (بوطاجين، 2010، 66).

هذا اللّبس القاعدي الذي يتحدّث عنه بوطاجين لا ينفّ بتاتا جماليّة النّص التي تنجلي من خلال اختيار ياسين لّلغة فرنسيّة راقية وجذّابة وهجينة أحيانا نستطيع القول أنّها جريئة، وما ذلك إلّا تجسيد للأدب بمعناه الواسع الذي يُعرف بأنّه : "التّعبير

المبدع عن الذات بلغة مؤثرة ومناسبة، أو [أنه] إعادة صياغة الحياة أو تأثيراتها على النفس بأسلوب جميل." (الكسواني، عيد، قطناني،
2010، 15).

ولو سلمنا بأن الكتابة الشعرية والروائية كتابة إبداعية تركز في الأساس على الاستعارات والكنائيات، لاستنتجنا أن "نجمة"
عبارة عن نثر شعري بآتم معنى الكلمة، يستحيل عدم الانتباه لغناه وغنائه.

كما تتطرق الرواية للخلفية التاريخية والثقافية للجزائر التي تتخذ منحى الأسطورة والملحمة، أراد من خلالها الكاتب تأسيس
أدب جزائري جديد ومستقل عما سواه، استبق الأحداث. إنها رواية ثورية بامتياز.

3. مسار ترجمة Nedjima : من المقروء (le lu) إلى المفهوم (le compris) إلى ما هو مترجم (le traduit)

:

إن الخطوة الأولى لدراسة رواية "نجمة" ثم ترجمتها هي القراءة وتكرار القراءة. إنها خطوة ليست بالهينة بسبب البنية السردية
غير المرتبة والممزقة. يرى ميشال بوليتيس Michel Politis أن: "من الأنشطة المعرفية ذات الأهمية البالغة أثناء الترجمة سواء
بالنسبة لمدى الإحاطة بمعنى النص الأصل أو مدى التحكم في النص المترجم هو نشاط القراءة. (ترجمتنا) (Politis, 2007, 158)

من هنا نفهم أن الأولوية هي تخطي عقبة هذه البنية السردية المعقدة والمتشظية من خلال قراءة لا تستغن عن بحث معمق
يُتيح للقارئ إمكانية التأويل.

لم تنء ملكة أبيض، وهي أول من ترجم الرواية إلى العربية سنة 1962، عن تفحص صعوبات الرواية وكذا الأسلوب المميز
لكاتب ياسين فأفصحت عن صعوبة قراءة "نجمة" وأن الظفر بالصورة الكاملة، حسب ما تضمنته مقدمة ترجمتها، لا يكون إلا بعد
جهد مضمن، وصبر طويل. (أبيض، 1962، 15).

الذي نلتهمسه أثناء قراءة "نجمة"، هو التشويق والفضول وتوظيف الخيال الذي ينبثق من محاولة فهم الرواية وحيثياتها وكأن
كاتب ياسين تعمّد حذف بعض الأحداث وإبقائها مبهمّة قصد إشراك القارئ في بناء الرواية. يقول بوعلام بطاطش: "الروائي قد
تعمّد في حذفه (...) الأحداث والإبقاء عليها مبهمّة حتى تُساهم في انفتاح الرواية وقبولها تعدّد القراءات، إذ بإمكان كلّ قارئ طرح
الفرضيات الممكنة لما جرى بها، والخروج برؤى خاصّة يُمكن أن تكون مختلفة عن رؤى غيره من القراء تبعاً لطريقته في ملأ الثغرات
التي تركها له الروائي." (بطاطش، 2013، 98).

قد يُوحى تعدّد القراءات أن هنالك عشوائية في الخروج بالمغزى الحقيقي للرواية، لكنّه في نفس الوقت يضمن صلاحية
ودعمومة الرواية عبر الأزمنة.

أما ترجمتها إلى العربية، فذاك تحدّ آخر لا يقلّ صعوبة عن فعل القراءة والتأويل لأنّ الترجمة — إلى حدّ كبير — تُخلّد فحوى
العمل الأدبي وتُطوّقه في اللغة الهدف حيث لا يستطيع مترجمه أن يعود أدراجه لتغيير "موقّعه" الإيديولوجي واللّساني بالنسبة للنص
الأصلي.

إذن، يكمن تحدّي ترجمة "نجمة" إلى العربيّة أساساً في اختيار مُستوى اللّغة. هل من المستحسن اختيار عربيّة فصيحة ومعياريّة أم أنّ العاميّة هي الأنسب؟ حول هذه النّقطة، وضّح السّعيد بوطاجين خياره قائلاً: "... فكرة توطين الرواية، بالنّسبة إليّ، هي جوهر التّرجمة، لقد سعيت إلى جعلها رواية جزائريّة الرّوح، وتفاديت حصرها جغرافياً بالاتّكاء على بدائل لغويّة لم تكن مُجسّدة نصّياً حتّى من قبل الكاتب نفسه." (بوطاجين، 2010، 66)

ويواصل: "بحث عن ألفاظ مُتواترة في الشّرق الجزائري حيث تجري الأحداث وأصلّتها بالعودة إلى المعاجم العربيّة. لهذا بدت لبعضهم عاميّة مع أنّها قاموسيّة." (بوطاجين، 2010، 66)

من جهة أخرى، نقلت ملكة أبيض الكثير من العبارات والألفاظ العاميّة إلى الفصحى مُتخذة بذلك نفس توجّه بوطاجين، غير أنّها لم تكثرث للدلالات المحليّة المضمرة. ونرى هنا أنّها كانت مُرغمة بسبب اختلاف خلفيّتها اللّغويّة والثّقافيّة، ورغم ذلك لم تتحيّز للعاميّة السّوريّة بل وضعت مُقابلات يفهمها كلّ القراء العرب على اختلاف مشاربهم.

يتّضح من خلال هذا المسار أنّ المترجم بمثابة رائد سفينة، يجوب في رحاب النّص الأدبي آملاً أن يرسو على اليابسة، وأن يصل بسلامة إلى "ما هو مُترجم" (le traduit) بعد اجتيازه الشّاق مرحلة المقروء (le lu) ثمّ المفهوم (le compris)، بعد أن كان قد استعان خلال كلّ مرحلة بكمّ المعرفي.

4. أهم أوجه التّباين من النّاحية المعرفيّة في ترجمة ملكة أبيض وترجمة السّعيد بوطاجين :

يُعَدُّ الانزياح في تلقي النصّ الأدبيّ وتأويله من أبرز السمات التي تُلازم مسيرته عبر العصور والثّقافات. فالأصل في هذه النصوص أن تُحدث أثراً في نفس المتلقّي، بيد أن هذا الأثر لا يكاد يتّحد في تحليّاته من دارس إلى دارس، ولا من ناقد إلى آخر. وهذا التفاوت يعكس تباين العوامل المعرفيّة والذهنيّة التي يُؤوّل من خلالها، وأهمّها: تفاوت دلالات الألفاظ في الإفهام، واختلاف تجارب الأفراد ودرجات ذكائهم، وتنوّع الخلفيات البيئيّة والمصادر الثّقافيّة التي ينتمي إليها القراء والمترجمون على حدّ سواء.

وانطلاقاً من هذا المنظور، يُقارب هذا المحور الانزياح المعرفيّ بين ترجمتي رواية "نجمة" لملكة أبيض والسّعيد بوطاجين، لا بوصفه مجرد اختلاف في المقابلات اللّغويّة، بل بصفته نتاجاً طبيعياً لتباين الأطر الذهنيّة والمسارات الاستدلاليّة التي اعتمداها أثناء عمليّة التّرجمة. فكلّ منهما ينتمي إلى بيئة ثقافيّة مغايرة، ويحمل رصيداً معرفياً متفاوتاً من حيث التّجربة الذهنيّة والتاريخ الشخصي والانتماء الحضاري، مما يجعل من ترجمتهما نموذجين حيّين على كيفية تشكّل النصّ المترجم عبر مرشّحات الوسط المعرفيّ للمترجم.

وسنحاول في هذا المحور الكشف عن تحليّات هذا التّباين من خلال تحليل نماذج تطبيقية، تسلّط الضوء على كيفية تعامل كل مترجم مع الرموز الثّقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة في الرواية، وكيف انعكس اختلاف بيئتهما المعرفيّة على اختياراتهما التّرجميّة، وذلك في إطار ما أشرنا إليه سابقاً من نظريات التلقي والمنظور المعرفيّ في التّرجمة.

النّموذج الأوّل :

Texte original français :

« Les deux mères se rencontrent au pain, puis aux mausolées de divers saints ; elles se confient qu'elles sont toutes deux de descendance aristocratique, l'une ayant le profil de l'aigle, l'autre celui du condor ; elles habitent toutes deux Beauséjour, ne parlent que de Constantine et d'Alger au temps des braves, se montrent parcimonieusement leurs bijoux, remontent leur arbre généalogique jusqu'au Prophète, sautent par-dessus les siècles, ôtent enfin leurs fausses dents pour s'embrasser, sans plus de retenue ; la fille de l'une ne peut aller qu'au fils de l'autre ; Lella Fatma précise qu'elle ne veut pas de dot, mais tient à sa fille ; Lella N'fissa proclame que son fils est de taille à faire le bonheur de trois femmes. Les deux belles-mères coexistent jusqu'au septième jour du mariage ; à cette occasion, Lella Fatma fait venir le plus grand pianiste d'Algérie ; Lella N'fissa, qui n'a pas été consultée, refuse de paraître à la fête, et tombe, toute bleue, dans le couloir. »

ترجمة ملكة أبيض

وتلتقي الوالدتان في الحمام، ثم في مزارات عدد من الأولياء ؛ وتسركل للأخرى بأنها تنحدر من منشأ أرستقراطي. كان لاحدهما وجه النسر، ولالأخرى وجه العقاب. وكانت كلتاهما تسكنان بوسيجور، ولم تكونا تتكلمان إلا عن قسطنطينية، والجزائر في الأيام الخوالي، أيام المجد الغابر. كانت كل منهما تبرز مجوهراتها للأخرى ولكن باعتدال، وترتقي بشجرة نسبها حتى الرسول، وتقفز بذلك فوق العصور، ثم تخلع في النهاية دكة أسناتها الاصطناعية لتبادل زميلتها العناق والقبل دون تحفظ ولا خجل، وأخيراً اتخذتا قراراً بالآ تذهب إبنة إحداهما إلا إلى ابن الأخرى. وأعلنت لالا فاطمة بصراحة أنها لا تريد مهراً، ولكنها تتمسك بابنتها ولا تتخلى عنها. وأعلنت لالا نفيسه أن ابنها على قدر البجوحة وسعة العيش بحيث يستطيع إسعاد ثلاث نساء.. واجتمعت الحماتان تحت سقف واحد حتى اليوم السابع بعد الزواج.. وفي هذه المناسبة السعيدة استدعت لالا فاطمة أكبر عازف على البيانو في الجزائر، وإذا لالا نفيسه ترفض حضور الاحتفال لأنها لم تستشر في ذلك، وتسقط في الدهليز في نوبة تصبغها باللون الأزرق.

ترجمة السعيد بوطاجين

كانت الأمان تلتقيان في الحمام، ثم في الأضرحة، أسرتا لبعضهما أن كلتيهما من نسب أرستقراطي، لإحداهما جانبية نسر، ولالأخرى جانبية نسر أمريكي كبير، كلاهما تقطنان في بوسيجور، لا تتحدثان سوى عن قسطنطينية والجزائر في زمان الكرام. تظهزان مجوهراتهما بشح. إنهما تعودان بشجرة نسبهما إلى عهد النبي، تقفزان على القرون، تنزعان في النهاية أسنهما المزيفة لتقبيل بعضهما، دون أي تحفظ.

لن تكون ابنة الأولى إلا من نصيب ابن الثانية. أكدت لالة فاطمة أنه من القوة بحيث يسعد ثلاث نساء. تعايشت الحماتان إلى غاية اليوم السابع من الزفاف. وبهذه المناسبة أتت لالة فاطمة بأكبر عازف على البيانو في الجزائر، وقد رفضت لالة نفيسه الظهور في الحفل لأنها لم تستشر. وسقطت في البهو زرقاء كلها.

التحليل المقارن للنموذج الأول: لقاء الأمهات – التباين المعرفي في تجسيد العالم الرمزي والاجتماعي :

1. الرمزية الحيوانية والأرستقراطية:

الملكة أبيض	السعيد بوطاجين	
وجه النسرووجه العقاب	جانبية نسروجانبية نسروأمريكي كبير	الترجمة
اختارت "العقاب" وهو طائر معروف في البيئة العربية، مما يسهل على القارئ تخيل الصورة	حافظ على التخصيص الجغرافي ("أمريكي") مع إضافة "كبير" للتوضيح	التباين المعرفي
ثقافة مشرقية تفضل الرموز المألوفة في المخيال العربي	محاولة للدقة العلمية في وصف الطيور مع مراعاة القارئ غير المطلع	الخلفية المعرفية

2. البعد التاريخي والزمني:

الملكة أبيض	السعيد بوطاجين	
في الأيام الخوالي، أيام المجد الغابر	في زمان الكرام	الترجمة
إضافة بعد شعري وإيحائي يعزز البعد التاريخي	اختصار مع الحفاظ على الفكرة الأساسية	التباين المعرفي
حساسية أدبية عالية للنصوص التاريخية	أولوية الإيجاز والوضوح	الخلفية المعرفية

3. الطقوس الاجتماعية والعادات:

الملكة أبيض	السعيد بوطاجين	
تبادل زميلتها العناق والقبل دون تحفظ ولا خجل	لتقبيل بعضهما، دون أي تحفظ	الترجمة

التبائن المعرفي	تفصيل المشهد مع إضافة البعد النفسي ("خجل")	مباشرة ووضوح مع الحفاظ على الجوهر
الخلفية المعرفية	اهتمام بالأبعاد النفسية والاجتماعية لللاقات	نظرة واقعية مباشرة للعلاقات الاجتماعية

4. المصطلحات الدينية والنسب:

ملكة أبيض	السعيد بوطاجين	
الترجمة	حتى الرسول	إلى عهد النبي
التباين المعرفي	استخدام مصطلح مختصر ومتعارف عليه	توضيح زمني يضيف بعداً تاريخياً
الخلفية المعرفية	ثقافة دينية راسخة تسمح بالإيجاز	دقة في التعبير عن التسلسل الزمني

5. الوصف الطبي والمرضي:

ملكة أبيض	السعيد بوطاجين	
الترجمة	في نوبة تصبغها باللون الأزرق	زرقاء كلها
التباين المعرفي	وصف طبي دقيق مع مصطلحات متخصصة	وصف بسيط وصوري
الخلفية المعرفية	معرفة بالمصطلحات الطبية والنفسية	تبسيط المفاهيم الطبية للقارئ العادي

النموذج الثاني:

Texte original français :

« Chaque nuit, Rachid se mêlait aux passagers ; il ne pouvait résister au simple plaisir de flâner aux heures de fraîcheur. A Port-Said, l'escale dura toute la journée ; c'était le moment de changer l'argent en livres égyptiennes, plus facilement convertibles en *rials* ; alors Si Mokhtar calcula qu'il avait à peine de quoi payer le guide obligatoire

chargé d'accompagner chaque *hadj* de Djeddah à Médine, sur le tombeau du Prophète.
Il s'en ouvrit à Rachid, qui n'avait pas un centime. »

ترجمة ملكة أبيض

كان رشيد ما ينفك يختلط كل ليلة بالمسافرين؛ ولم يكن يقوى على مغالبة ميله للاستمتاع للاستمتاع بجولة، كلما أحس
الجو رائقاً جميلاً.

وتوقفت الباخرة في بور سعيد نهراً كاملاً؛ وكانت تلك فرصة لتبديل النقود بجنيهاً مصرية، لسهولة تحويل الجنيه إلى
ريالات. وهناك، حسب سي مختار ما معه من النقود فإذا هو لا يكاد يزيد عن أجرة الدليل الإجمالي المكلف بمرافقة كل
حاج، من جدة إلى المدينة المنورة، حيث قبر الرسول. وفاتح بذلك رشيداً الذي لم يكن يملك أي فلس.

ترجمة السعيد بوطاجين

كان رشيد يختلط بالعابرين في كل ليلة. لم يستطع مقاومة رغبته في التسكع خلال ساعات الندوة.
استغرق الرسو في بور سعيد يوماً كاملاً. كان ذلك وقت تبديل المال باليرة المصرية التي يمكن تحويلها إلى الريال بسهولة
أكبر. قدر سي مختار، حينها، أنه لا يملك تقريباً سوى ما يكفي لتسديد المال المخصص للدليل الإجمالي المكلف بمرافقة
كل حاج من مكة إلى المدينة حيث ضريح النبي، وكاشف رشيد الذي كان لا يملك سنتيماً واحداً.

التحليل المقارن للنموذج الثاني : الرحلة والحج – التبائن في تمثيل الفضاء الديني والمالي :

1. المصطلحات المالية والعملات:

الترجمة	ملكة أبيض	السعيد بوطاجين
"تحويل الجنيه إلى ريالات"	"تحويل النقود بجنيهاً مصرية"	"تحويل المال باليرة المصرية"
"تحويلها إلى الريال"		
التبائن المعرفي	دقة معجمية في التعامل مع المصطلحات الاقتصادية	تبسيط المصطلحات المالية للقارئ المعاصر
الخلفية المعرفية	نظرة محايدة للتعاملات المالية كواقع اقتصادي	أولوية الوضوح والتواصل على الدقة الاصطلاحية

2. المصطلحات الدينية والطقوس الحجاجية:

ملكة أبيض	السعيد بوطاجين
-----------	----------------

من مكة إلى المدينة حيث ضريح النبي	من جدة إلى المدينة المنورة، حيث قبر الرسول	الترجمة
تصحيح جذري للمسار (مكة بدل جدة) مع استخدام "ضريح النبي"	تصحيح للمسار الجغرافي مع إضافة "المنورة" للتبجيل	التباين المعرفي
فهم أعمق لمسار رحلة الحج الصحيح	معرفة دقيقة بمناسك الحج ومراحل	الخلفية المعرفية

3. الدلالات الثقافية والاجتماعية:

السعيد بوطاجين	ملكة أبيض	
وكاشف رشيد الذي كان لا يملك سنتيما واحدا	فاتح بذلك رشيداً الذي لم يكن يملك أي فلس	الترجمة
استخدام مصطلح "سنتيما" المعاصر والمألوف	استخدام مصطلح "فلس" الذي يحمل دلالة تاريخية	التباين المعرفي
ثقافة معاصرة تهتم بالوضوح والمألوف	ثقافة لغوية غنية بالمصطلحات التقليدية	الخلفية المعرفية

خاتمة التحليل المقارن :

يتجلى من خلال هذا التحليل المقارن أن الاختلاف بين ترجمتي ملكة أبيض والسعيد بوطاجين ليس مجرد تباين في الاختيارات المعجمية أو الأسلوبية، بل هو تجسيد لرؤيتين معرفيتين متميزتين. فبينما تنزع أبيض إلى نموذج "المترجم-الباحث" الذي يولي الأولوية للدقة الاصطلاحية والعمق التاريخي والأبعاد الجمالية، يسعى بوطاجين إلى نموذج "المترجم-الوسيط" الذي يركز على وظيفية النص وسهولة تلقيه. ويظل الجمع بينهما مشروطاً بآليات معرفية مشتركة كالدّاعة الثقافية والتأويل الإبداعي واتخاذ القرار، مما يؤكد أن المترجم كيان معرفي فاعل يُعيد بناء النص ضمن إطاره الثقافي والذهني، لا مجرد ناقل محايد للألفاظ.

5. خضوع القارئ لخيارات المترجم وبيئته المعرفية :

يأتي هذا المحور ليكشف النقاب عن الآلية التي يوجه بها المترجم - من خلال خلفيته المعرفية - تلقي القارئ ويُشكل تصوّره للنص المترجم. تُظهر التّرجمتان كيف أن الخيارات المعرفية لكل مترجم تُحدّد الإطار الذهني الذي يتلقى من خلاله القارئ النص. ففي تعاملها مع الرموز الحيوانية، اختارت ملكة أبيض مصطلحات مألوفة في المخيال العربي ("النسر"، "العقاب")، بينما حافظ السعيد بوطاجين على التخصيص الجغرافي ("نسر أمريكي كبير"). أمّا بخصوص الاستجابات العاطفية للقارئ، فهي تختلف

باختلاف الخيارات الترجمة. فوصف ملكة أبيض للمشهد العاطفي بـ "تبادل زميلتها العناق والقبل دون تحفظ ولا خجل" يثير استجابة وجدانية مختلفة عن وصف بوطاجين المباشر "لتقبيل بعضهما، دون أي تحفظ".

يُظهر التحليل كيف يوجه المترجم القارئ نحو فهم معين للسياق الثقافي. ففي ترجمة المشهد الديني، صرح بوطاجين المسار الجغرافي ("من مكة إلى المدينة") بينما التزمت أبيض بالنص الأصلي ("من جدة إلى المدينة المنورة")، مما يعكس اختلافاً في الإطار المعرفي الثقافي. وبالرغم من أنّ النص الأدبي، كما يرى شارل بون، يفترض احتمال تعدد المعاني، إلا أن الخيارات الترجمة تُضيق أحياناً من هذا التعدد. فترجمة أبيض التفصيلية للطقوس الاجتماعية توجه تأويلاً محدداً، بينما يترك أسلوب بوطاجين المختصر هامشاً أوسع للتأويل.

بناء على ما تقدّم، يمكن تحديد استراتيجيتين رئيسيتين :

الاستراتيجية التوجيهية: كما في ترجمة أبيض، حيث تُقدّم تفسيراً وتفصيلاً يُوجّه القارئ نحو فهم مُحدّد.

الاستراتيجية التحريرية: كما في ترجمة بوطاجين، حيث تترك هامشاً للقارئ لتكوين تصوّره الخاص.

يُثبت هذا التحليل أن المترجم ليس ناقلاً محايداً، بل هو وسيط معرفي يُشكّل عالماً نصياً جديداً يُبقي على المعنى لكنّه يضعه في قالب آخر، وهذا المعنى يُعاد بناؤه وفقاً للإطار المعرفي للمترجم، مما يجعل القارئ خاضعاً - إلى حدّ كبير - للرؤية المعرفية التي يُقدّمها له المترجم.

الخاتمة:

تُجسّد هذه الدراسة كيف أن الترجمة الأدبية تتجاوز مجرد نقل النص من لغة إلى أخرى، لتصير فعلاً تأويلياً معقداً، تتشابك فيه العوامل اللغوية بالمعرفية والثقافية. وقد أظهر تحليل ترجمتي "نجمة" أن نجاح المترجم الأدبي زهنٌ بإدراكه لشئائيات المضامين المعنوية والجوانب الفنية في النص، فضلاً عن قدرته على توظيف كفاءاته المعرفية توظيفاً واعياً. ولتطوير الأداء الكمي والتوعوي لمترجم الأدب، نقترح :

- تفعيل الذاكرة الترجمة الثقافية: من خلال بناء قواعد بيانات للمرجعيّات الثقافية والتاريخية التي تُعين المترجم على فهم السياقات العميقة للنص.
- تبني منهجية تكاملية: تجمع بين التحليل اللغوي الدقيق والتُمثّل المعرفي للأبعاد الجمالية والفنية في العمل الأدبي.
- التدريب على القراءة التأويلية: بتنمية قدرة المترجم على تفكيك الطبقات الدلالية المتعددة، واستنباط الدلالات الضمنية التي تختزنها الصور والأساليب البلاغية.
- التكوين المستمر في حقل الدراسات المعرفية: للإحاطة بالآليات الذهنية المؤثرة في عملية فهم النص وإعادة إنتاجه.
- ممارسة النقد الذاتي: بمراجعة الخيارات الترجمة واختبار مدى تلاؤمها مع روح النص الأصلي وسياقه الثقافي.

فالترجمة الناجحة، في ضوء ما تقدم، هي التي تستوعب المعاني في تشعباتها، وتُقيم للجانب الفني وزناً، وتستحضر وعي المترجم بذاته المعرفية والقارئ معاً. وهي بهذا تكون قد حققت شرطين جوهريين: الأمانة للنص الأصل، والنجاعة في التوصيل. وبهذا، تظل ترجمة ملكة أبيض بوصفها "تفحصاً أولياً" للنص وترجمة السعيد بوطاجين بوصفها "مؤانسة ثقافية" وجهين متكاملين لحقيقة واحدة، وهي أن الترجمة الأدبية حوارٌ متجددٌ بين النص وقرائه، يصوغ فيه المترجم وعيه ويصوغه الوعي.

المصادر :

- Kateb Yacine, *Nedjma*, Editions du Seuil, Paris, 1996.
- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى، منشورات دار الاتحاد، الناصرة، 1980.
- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1435هـ-2014م.

المراجع:

- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، الطبعة الخامسة، 2007.
- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفية، منشورات الاختلاف، تونس، 2009.
- بطاطاش ب. (2013). الثغرات الروائية بين الأنواع والوظيفة رواية (نجمة) لكاتب ياسين أنموذجا تطبيقيا. الخطاب، 8(13)، 89-104. <https://asjp.cerist.dz/en/article/20371>
- السعيد ب. (2010). ترجمة رواية " نجمة " لكاتب ياسين. معالم، 2(1)، 65-67. <https://asjp.cerist.dz/en/article/22541>
- عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، 2014.
- مصطفى خليل الكسواني وآخرون، في تذوق النص الأدبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2010.
- Bonn, C. (2009). *Kateb Yacine: Nedjma*. Paris, France: L'Harmattan.
- Durieux Christine. Complexité et cognition : un paradigme pour la traductologie. In: Équivalences, 32e année-n°2, 2005. pp. 5-29.
- Durieux, C. (2007). L'opération traduisante entre raison et émotion. *Meta*, 52(1), 48-55.
- Gile, D. *La traduction. La comprendre, l'apprendre*, Paris, Presses universitaires de France, 2005.
- Guidère, M., *Introduction à la traductologie*, Bruxelles, De Boeck, 2008.
- Politis, M. (2007). Introduction. *Meta*, 52(1), 1-2.
- Sperber, D. and D. Wilson (1986) : *Relevance, Communication and Cognition*, Oxford, Basil Blackwell.